جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

البرامج التلفزيونية عبر الاقمار الصناعية . بماذا تعد الشباب ؟

الاستاذ : سعد لبيب

الرياض

1408 هـ - 1987 م

البرامج التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية، بماذا تعد الشباب؟؟

الأستاذ سعد لبيب*

التمهيـــــد:

بانطلاق القمر الصناعي العربي. اكتمل جانب كبير س القطاع الارضي للشبكة والمتمثل في محطة التحكم الرئيسية في الرياض ، وفي المحطات الأرضية المتصلة بالقمر العربي والتي تقوم في الغالبية العظمى للدول العربية، وبهذا تهيأت الفرصة لأول مرة في التاريخ الاتصالي العربي لوجود شبكة اتصالات عربية تغطي المنطقة كلها، وتتكامل مع ماتم من وصلات ارضية ، وتحققت امكانات التواصل التليفزيوني بين كل اجزاء الوطن العربي، بالاضافة الى الخدمات الأخرى في مجال الاتصالات، وهو حلم طالما طاف بخيال الرواد الاعلاميين، والتلفزيونيين بوجه خاص، لما يؤدي اليه من دعم العناصر المشتركة في الحياة الاتصالية والثقافية والتربوية بين شعوب المنطقة، وما يهيؤه من فرص اكثر اشراقا لعصر عربي جديد يساهم بمزيد من الايجابية في حضارة عالمنا المعاصر

بعض حقائق عن القمر العربي:

ولعله من المناسب قبل الدخول في موضوعنا الأصلي حول البرامج التلفزيونية عن الأقمار الصناعية، وبماذا تفيد الشباب،أن نلقي نظرة سريعة على بعض الحقائق المتعلقة بالقمر الصناعي العربي وما يتيحه من امكانات في مجال التلفزيون ، وهنا اعود الى اقتطاف بعض ما ورد في كتيب اصدره

(*) كلية الإعلام. جامعة القاهرة.

اخيرا جهاز تليفزيون الخليج بالرياض بقلم الأستاذ الدكتور على المشاط المدير العام للمؤسسة العربية للاتصالات الفضائية حول تكوين القمر الصناعي العربي وامكاناته، والذي اطلق عليه نظام "عـــرب ســات"

يضم هذا النظام قمرا صناعيا عاملا وقمرا آخر احتياطيا في المدار بعمر تصميمي قدره سبع سنوات لكل قمر، بالاضافة الى قمر ثالث مخزون على الأرض جاهز للاطلاق في حالة فشل اي من القمرين في المدار

وسعة هذا النظام على النحو التالي:

٨,٠٠٠ قناة هاتفية.

٧ قنوات تلفزيونية.

١ قناة جماعية.

وهنا لابد من التأكيد على ان اشارة القمر الصناعي العربي لا يمكن ان تلتقط عن طريق اجهزة الاستقبال التلفزيوني العادية، فهي ليست من نوع اشارة الأقمار الصناعية للبث المباشر، اذ لابد من وجود محطات ارضية خاصة بالقمر العربي تلتقط اشارته وتوصلها الى شبكة التلفزيون الوطنية، بمعنى انه لن يوجه برامجه مباشرة الى الجمهور وانما الى محطات التلفزيون في الأقطار العربية المختلفة التي تلتقط ما تراه صالحاً من برامجه، وتبثها ضمن برامجها العادية اما في ساعة التقاطها اي على الهواء مباشرة واما تسجلها وتعيد اذاعتها في الوقت الذي تراه مناسبا.

والاستثناء الوحيد هو بالنسبة للقناة التي سميت "القناة الجماعية" وهي قناة قمرية غزيرة الاشعاع يمكنها ان تغطي المنطقة العربية كلها او بعضها حسب الأحوال وتستقبل في أية منطقة من الأرض العربية دون ان تمر من خلال المحطات التلفزيونية الوطنية، وذلك عن طريق محطات ارضية

صغيرة رخيصة التكاليف، وبالتالي فهي تصلح لأغراض المشاهدة الجماعية في الأندية او المدارس او اماكن التجمعات العامة، كما يمكن توصيلها الى عدد محدود من المنازل عن طريق خطوط سلكية، ومن الممكن تشغيل هذه المحطات في الأماكن التي لم يصلها التيار الكهربائي حيث تعتمد على الطاقة المتولدة من حرارة الشمس.

وبالتالي. فان استطاعة نظام «عرب سات» ان يقدم الخدمات التالية في مجال التليفزيون بالاضافة الى الخدمات الأخرى التي يقدمها في مجالات خدمات المواصلات الهاتفية والتلكس ومراكز المعلومات وخدمات وكالات الأنباء وطباعة الصحف في اكثر من موقع، وما الى ذلك:

- **على المستوى الوطني**: يمكن توصيل البث المركزي الى اية بقعة نائية بعيدة عن الشبكة المركزية بشرط توفير المحطات الأرضية المناسبة، وبهذه الطريقة يمكن تلبية الاحتياجات التعليمية في الاطار المدرسي او خارج المدرسة في هذه المناطق بالاضافة الى الاحتياجات الثقافية والانمائية

- **على المستوى الثنائي او شبه الاقليمي**: يمكن ان تتفق دولتان او مجموعة من الدول في المنطقة العربية تتشابه احتياجاتها التعليمية والثقافية والانمائية على القيام بجهد مشترك لانتاج وبث البرامج التي تلبي هذه الاحتياجات سواء للمناطق الحضرية او المناطق النائية او لهما معا. ولا يشترط ان تكون هذه المجموعة س الدول متجاورة جغرافيا.

- **على المستوى القومي**: ربما امكن الوصول الى نوعية معينة من البرامج الثقافية او التعليمية تلبي احتياجات شعوب المنطقة العربية كلها، وهذه يمكن ان تذاع على الشبكة الفضائية وتصل الى اي مكان يراد لها الوصول اليه على الأرض العربية، وهذا هو الحلم الذي كان وما زال يراود الكثيرين من التربويين والاعلاميين والمفكرين العرب الذين يدركون ان مستقبل هذه الأمة رهن بدعم وحدتها الثقافية واستلهام منابعها الحضارية الأصيلة.

الخصائص الذاتية لمرحلة الشباب:

واذا كانت هذه هي بعض الامكانات التي يحققها القمر الصناعي العربي في مجال التلفزيون، فالسؤال المطروح هو: بماذا تفيد الشباب هذه البرامج التلفزيونية المنقولة عبر القمر الصناعي العربي، وهذا يقتضي ان نقف وقفة قصيرة لاستعراض مفهومنا لمرحلة الشباب من منظور اعلامي.

فقد اصبح للشباب مكانة خاصة في المجتمع المعاصر، ولعل من بين اسباب هذه الظاهرة ذلك التأثير الشامل الذي أصبح للشباب في كافة نظم المجتمع بحيث اصبح الانشغال بقضايا الشباب هو تعبير عن الاهتمام بمستقبل المجتمع كله.

والشباب ليس مجرد مرحلة زمنية تبدأ في الخامسة عشرة حتى الخامسة والعشرين، او قبل ذلك بقليل او بعده بعدد اخر من السنين، حيث يكتمل النمو الجسمي والعقلي على نحو يجعل المرء قادرا على اداء وظائفه المختلفة، وانما هو ايضا مجموعة من الخصائص والمواصفات التي ينبغي ان تؤخذ في الاعتبار عند نظرنا الى مرحلة الشباب ، وهي في كل الأحوال مرحلة لا تنفصل عن بقية مراحل العمر وخاصة مرحلة الطفولة والمراهقة، بل انها امتداد لهذه المرحلة الأخيرة بالذات، فالشباب لا يمثل مرحلة نمو مفاجىء، وانما هو استمرار طبيعي لعملية التنشئة الاجتماعية التي تبدأ منذ مرحلة الطفولة المبكرة وتستمر خلال كل مراحل الحياة.

ولعل من أهم خصائص مرحلة الشباب والذي جعل لها هذه المكانة المتميزة في المجتمع والتأثير الشامل عليه، انها تعبر عن تلك الفئة التي تتسم بأعلى درجة من النشاط والحيوية لما لها من خواص دينامية متفردة، كما انها تعتبر اكثر فئات المجتمع رغبة في التجديد وتطلعا الى تقبل الحديث من الأفكار والتجارب، على انها قد تتجه بحكم تكوينها النفسي والاجتماعي

نحو رفض المعايير والمستويات والتوجيهات التي يمارسها الكبار ، والذي قد يقع نتيجة التناقض الذي احيانا ما يحدث بين الذات المثالية والذات الواقعية في نفس الشاب.

وتتعدد حاجات الشباب النفسية، ومن بين تلك الحاجات التي يمكن لوسائل الاعلام الاسهام في اشباعها:

- الحاجة الى المعلومات والمعارف والثقافة العامة والاخبار.
- الحاجة الى مثل عليا واضحة.
- الحاجة الى تنمية واستغلال الاستعدادات والقدرات الخاصة
- الحاجة الى الترفيه وترشيد وقت الفراغ.
- الحاجة الى التوجيه والارشاد.

برامج التليفزيون والشباب:

واذا كانت هذه هي الحاجات في مرحلة الشباب التي يمكن مواجهتها عن طريق وسائل الاعلام المختلفة، فان للتلفزيون وبرامجه وضعا خاصا في هذا المجال.

ولا أتعرض هنا للأسباب التي جعلته يحتل هذا الوضع الخاص وسأكتفي بذكر نتائج بعض البحوث الميدانية التي اجريت على الشباب في علاقتهم بالتلفزيون في بعض الدول العربية.

فقد ثبت من بحث اجراه اتحاد الاذاعة والتلفزيون في جمهورية مصر العربية في عام ١٩٧٦م حول تعرض الشباب لوسائل الاعلام المختلفة ان ٦٥٪ منهم يشاهدون التلفزيون بانتظام، فاذا طبقنا هذه النسبة على تعداد السكان في مصر الآن، وقد بلغ عددهم وفق تعداد ١٩٨٣م ٤٥ مليون

نسمة ٢٦٪ منهم من الشباب، لتبين ان عدد مشاهدي التلفزيون بانتظام من الشباب في مصر يصل الى حوالي ١٦مليون شاب.

وتزيد هذه النسبة في حالة الاذاعة فتصل الى ٩١٪ وتصل بالنسبة للصحف اليومية الى ٦٧٪ والمجلات ٥٩٪ والكتب ٤٣٪ والسينما ٧٠٪ والمسرح ٢٤٪

وفي بحث اجري في لبنان حول الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون على الشباب وشمل عينة تصل الى ٣٨١ شابا في عام ١٩٧٩م (اي قبل الأحداث المؤسفة هناك) تبين ان ٧٥٪ منهم يشاهدون التلفزيون بانتظام وان ٦١٪ منهم يفضلونه على القراءة.

وفي بحث اجرى في الكويت عام ١٩٨٢م على عينة وصلت الى ٢٠٥٦ شابا بهدف التعرف على اتجاهات الشباب نحو المطالعة في المجتمع الكويتي المعاصر تبين ان التلفزيون صرف ٦٢٪ منهم عن القراءة في حين ان الاذاعة لم تصرف الا ٢٤٪ والسينما ٢٣٪

وعندما نتحدث عن مشاهدة التلفزيون بانتظام فاننا نعني بذلك المشاهدة التي تصل في المتوسط ما بين ثلاث واربع ساعات يوميا كما ثبت من بحث مقارن اجراه عام ١٩٨٢م على خمسة اقطار عربية المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين التابع لاتحاد اذاعات الدول العربية.

ومن هنا تظهر خطورة الدور الذي يلعبه التلفزيون في حياة الشباب في المنطقة العربية والآثار التي يمكن ان تترتب على هذه المعايشة اليومية.

ولعله من المفيد هنا ان نشير الى بعض نتائج بحث اجراه اتحاد اذاعات الدول العربية هذا العام (١٩٨٣م) حول "اتجاهات البرمجة التلفزيونية في الوطن العربي" تم فيه التحليل الاحصائي للبرامج التلفزيونية في خمسة أقطار عربية هي: الجزائر، وتونس، ومصر، وسوريا، واليمن

الديمقراطية، وقد تبين منه ان نسبة المواد الأجنبية المستوردة من خارج المنطقة يصل في المتوسط الى ٣٠٪ من مدة الارسال وهو يصل في بعض الأقطار العربية الى ٥٠٪ من هذه النسبة

ولعل من اهم النتائج المتوقعة للاستخدام التلفزيوني للشبكة الفضائية العربية او نظام "عرب سات" الاقلال من الاعتماد على المواد الأجنبية واحلال مواد عربية محلها، فالمواد الأجنبية رغم كل الحرص في اختيارها ورقابتها من جانب المحطات العربية المستوردة لها، انتجت لمجتمعات غير مجتمعنا وهي بالتالي تحمل في طياتها - بشكل مباشر او غير مباشر - قيما غريبة علينا كثيرا ما تتعارض مع الترتيب القيمي السائد والمنشود في المجتمعات العربية.

فاذا اضفنا الى المادة الأجنبية في التلفزيون ما يشاهده الشباب في المنطقة العربية من افلام سينمائية في دور العرض العامة او منقولة على تسجيلات الفيديو، وما يتعرض له من اذاعات اجنبية،كثير منها يحمل قدرا لا يستهان به من القيم غير المرغوب فيها، لوجدنا ان الشباب معرض لخطر حقيقي وهو في هذه المرحلة المبكرة من النضج الاجتماعي.

ونحن اذا تأملنا خريطة العالم وما يموج به من صراعات عقائدية وايديولوجية وتأملنا خريطة العالم المحيط بنا لأمكننا ان نستنتج ببساطة اننا معرضون لحملة من التيار المعادي.

خطورة التيار المعادي:

والتيار المعادي هو ذلك الذي ينطوي على مجموعة من القيم التي تتناقض مع هويتنا الثقافية وتعمل على تحطيم مجموعة القيم والتقاليد التي تحدد معالم الشخصية العربية، وتمنحها طابعا متميزا له سماته الخاصة.

وهو الذي يعمل على توسيع الفجوة بين الأجيال دون محاولة لتذويب الاختلافات او بناء الجسور التي يعبر عليها كل جيل، وبذلك تتهيأ الفرصة لحدوث الصراع بين الأجيال بشكل حاد يقوض اركان التماسك الاجتماعي، وينمي الفردية، ويضعف الولاء للمجتمع.

وهو الذي يعمل على اضعاف الانتماء الى التراب الوطني والتراث الحضاري، وتوسيع قاعدة الاغتراب وفقدان المعايير دون تأصيل مستمد من تاريخ المجتمع وتراثه

ولعل الشباب يكون هو المستهدف في الدرجة الأولى، من هذا التيار المعادي بحكم طبيعته الرافضة ورغبته في الحصول على المعرفة من اي طريق، وفي ان يختار بنفسه قيمه ومثله وسلوكياته، بغير ان يكون مسلحا بالمعرفة الصحيحة لقيم مجتمعه واحتياجاته وتراثه الحضاري والثقافي.

وهذا التناقض هو الذي يوقعه في "أزمة الاغتراب"

"والاغتراب" تعبير عن عدم الرضا وعن "الرفض" للمجتمع وثقافته، وجوهره الشعور بالفقدان، واشده «فقدان الذات»، مما يخلق عند الفرد شعورا بالبؤس، فلا يستطيع ان ينمي حرية طاقته الفسيولوجية او العقلية، ويستحيل الى شخص منهوك القوى جسمياً، متمزق عقليا، ويرتبط بهذا شعور بالوحدة والخوف وعدم الاحساس بتكامل الشخصية، وشعور الانسان انه اصبح فردا بلا موضع واضح، ضحية ضغوط غامضة ومتصارعة، يعيش للمجتمع، ولا يجد من المجتمع ما يقدمه له، الأمر الذي يؤدي به الى فقدان الثقة وبالتالي عدم الالتزام الاجتماعي والتسيب.

ومن هنا كانت الحاجة الى بلورة فكر عربي اسلامي اصيل يستند الى القيم الدينية والتراث الحضاري والثقافي، في مواجهة هذا السيل من

التيارات الفكرية التي تتصارع على خريطة العالم، وضرورة التوصل الى صيغة فكرية تربط هذه الأمة بجذورها واصالتها، وتمكنها ـ في الوقت نفسه ـ من الانطلاق في عالم اليوم وتشق طريقها الى عالم الغد، وهو عالم مضطرب يشتد فيه الصراع الذي يستند الى ارضية فكرية وايديولوجية

ما يستفيده الشباب والتلفزيون من القمر العربي:

انطلاقا مما ذكرنا من امكانات الشبكة الفضائية واحتياجات الشباب فمن الممكن ان يكون التوجه في انتاج البرامج التلفزيونية التي تذاع على هذه الشبكة وتستفيد منها الدول العربية كلها او بعضها، وفق عدد من المحاور المتصلة بالثقافة وبالتعليم وبالتنمية

ويلاحظ ،هنا، أن الشباب الذي نعنيه ليس شباب المدارس والجامعات او خريجيها، فالشباب مرحلة من العمر يمر بها الطالب وغير الطالب، ابن المدينة وابن القرية وابن البادية، الذين يدرسون والذين حرموا فرصة التعليم، الذين يعملون في سنى شبابهم والذين يستعدون فيها للعمل بالدراسة والتدريب.

وسنحاول فيما يلي القاء بعض الضوء على نوعيات هذه القطاعات من البرامج التلفزيونية:

١ ـ البرامج الثقافية:

هي البرامج غير المنهجية التي تهدف الى تزويد المشاهدين بالمعلومات والمعارف في مجالات الحياة المختلفة، وتساعدهم على تكوين المواقف الفكرية والعاطفية اللازمة لفهم حركة المجتمع والتلاؤم معها. وهذه

البرامج قد تكون موجهة الى جمهور المشاهدين بشكل عام، وقد تستهدف جمهورا محددا كالنساء او الأطفال او الشباب، أو الذين تجمع بينهم اهتمامات خاصة، في مجالات العلوم او الموسيقى او الفن او الهوايات المتعددة.

والتثقيف هو زيادة المعرفة بغير الأسلوب الأكاديمي المتبع في المدارس، خاصة فيما يتصل بنواحي الحياة العامة، وتساعد هذه الزيادة على اتساع افق الفرد وفهمه لما يدور حوله من أحداث،والتثقيف بالنسبة للفرد عن طريق وسائل الاعلام بشكل عام والتلفزيون بشكل خاص اما ان يكون عارضا او مقصودا.

والتثقيف العارض يشمل جوانب المعرفة التي يكتسبها الفرد بتعرضه لهذه الوسائل دون قصد او تخطيط سابق منه، وتزيد فرص هذا التعلم العارض كلما كان محتوى المادة الاعلامية جديدا او معروضا من وجهة نظر جديدة، او شيقا، كما تتدخل حاجات الفرد الشخصية فيما يتعلمه تعلما عارضا من وسائل الاعلام وفي مقداره لأنها هي التي تدفعه الى الاهتمام بما يسدها.

وكثيراً ما يكون التثقيف العارض واضحا في الحصيلة اللغوية للأفراد بما تضيفه وسائل الاعلام من كلمات وعبارات جديدة اوجدتها ظروف الحياة وتطورها، ولما كانت اللغة اللفظية من اهم وسائل الاتصال والتفاهم فان زيادة حصيلة الانسان منها تسهل عملية اتصاله بالغير ومن ثم تكون حياته الاجتماعية اكثر فاعلية.

أما التثقيف المقصود فهو حصيلة اتجاه الفرد الى وسائل الاتصال وتفاعله معها بهدف معين ووفق خطة طويلة او قصيرة، ويتوقف على عمق

اتجاه الفرد نحو الافادة من هذه الوسائل، على انه ينبغي ان يكون مفهوما ان الثقافة ليست فقط مجموعة المعلومات والمعارف في موضوعات شتى، وانما هي في الدرجة الأولى، وكما ينظر اليها علماء الاجتماع النظرة العامة الى الوجود والحياة والانسان، وهي كذلك موقف من هؤلاء جميعا، وقد يتجسد هذا الموقف في تعبير فني أو مذهب فكري أو مبادىء تشريعية أو سلك اخلاقي عملي، والثقافة بهذا المعنى الشامل هي البناء العلوي للمجتمع الذي يتألف من المعتقدات والفلسفة والفن والأدب والتشريع والقيم الاجتماعية السائدة.

والثقافة تعبير عن هذا كله، وهي ايضا وسيلة فعالة لتغييره.

ويعنينا في الدرجة الأولى هنا التركيز على قضية القيم الاجتماعية ذلك ان اي مجتمع يحتاج في كل فترة من فترات تطوره الى اعادة النظر في سلم القيم الاجتماعية التي تحكم العلاقات بين الأفراد وتحدد المواقف والاتجاه بالنسبة لعدد من القضايا الفكرية والاجتماعية، كما تحدد انماط السلوك، فيختار منها مجموعة القيم التي تساعد عملية تطوره ونموه، يدعمها ويحافظ عليها، ويعمل على تعديل القيم التي تعوق حركته أو تعطل نموه.

ونذكّر هنا. بما سبقت الاشارة اليه من ان الشباب هم اول من يستجيب لعمليات التعديل القيمي بحكم استعداداتهم النفسية وعدم اقتناعهم بكثير من القيم القديمة التي اصبحت تعطل من حركة المجتمع.

ومن هنا كانت اهمية البرامج التي توجه بشكل مباشر أو غير مباشر الى الشباب وتتصل بالقيم الاجتماعية.

ومن بين الجوانب الأساسية لعملية التوجيه الثقافي للشباب في المجتمع الحديث بوجه عام موقف واتجاه الأفراد نحو تاريخ المجتمع الذي يعيشون

فيه، ذلك ان التقييم الصحيح للماضي هو الأساس الذي ينبني عليه الانطلاق في الحاضر والمستقبل ، فالحاضر ينبثق عن الماضي، ولا يستطيع المرء ان يدرك الواقع الذي يعيشه بكل ابعاده الحقيقية الا في ضوء التحليل الدقيق لتاريخ مجتمعه.

ولعل الشباب ان يكون اكثر الفئات الاجتماعية حاجة الى تكوين اتجاه علمي نحو تاريخه، فهو اكثر هذه الفئات حاجة الى المعرفة واكثرها قدرة على استيعابها، وبهذا يصبحون في موقف يمكنهم من ادراك الحاضر اليومي الذي يعيشون فيه ادراكا سليما تنبىء عليه نظرتهم للمستقبل.

وفي اطار الثقافة والمعرفة أيضا يذهب كثير من علماء الاجتماع الى ان ازدياد اعتماد الشباب على المعرفة العلمية من شأنه ان يدعم احساسه بالواقع وينمي فيه القدرة على حل المشكلات التي تنشأ خلال الحياة اليومية، في اطار النسق الاجتماعي القائم، ولذلك فان رفع مستوى الوعي العلمي للشباب هو من بين اساسيات برامج التنشئة الاجتماعية، بالاضافة الى انه من بين الدعامات الرئيسية التي تعتمد عليها خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

والتفكير العلمي هو الذي يؤدي الى سيادة المنطق ونبذ الخرافة واحلال العقل محل الخضوع لمجموعة من المسلمات التي قد تتعارض في مرحلة معينة مع متطلبات تقدم الفرد والجماعة، وفي مثل حضارة القرن العشرين الميلادي التي تعتمد اعتمادا اساسيا على العلم والتكنولوجيا، فان تربية الشباب على احترام العلم والتعامل مع قواعده ومنجزاته يصبح من ضرورات الحياة.

وقد اضاءت شعلة الحضارة العربية والاسلامية ظلمات الجهالة التي كانت تتخبط فيها الانسانية على مدى قرون طويلة، وبرز منها الرواد في

جوانب العلوم الطبيعية المختلفة، وآن لأحفادهم ان يحملوا الشعلة من جديد، وان يبدأوا في المشاركة في دفع عجلة العلم الى الامام.

وتجدر الاشارة هنا الى التوصية العربية المقدمة الى مؤتمر الأمم المتحدة للعلم والتكنولوجيا واقترحها الاجتماع العربي للتحضير للمؤتمر "بغداد، مايو - آيار ١٩٧٩م" وقد جاء فيها:

ان التخلف العلمي على مستوى الوطن العربي هو التحدي الحقيقي الذي يجب ان تتركز السياسات والتخطيط على المدى البعيد للقضاء عليه، وان دخول العلم يتطلب تكثيف وتكامل الجهود العربية لا مجرد التعاون والتنسيق فيما بينها.

٢ - البرامج التعليمية:

تنقسم بدورها الى عدد من النوعيات هي:

أ - البرامج المدرسية: والمقصود بها هنا البرامج التي ترتبط بمناهج التعليم المدرسية أو النظامية والتي تشمل كل مراحل التعليم، بما في ذلك التعليم الجامعي، ويدخل في هذا الاطار البرامج المعدة للافادة بها في الفصول الدراسية أو تلك التي توجه الى الدارسين خارج فصول الدراسة، ويسميها البعض برامج الاثراء، وطبيعي ان هذه البرامج لا تتعرض للمنهج الدراسي كاملا، بل تختار منه المواقع التي تحتاج الى الشرح أو الايضاح بالوسائل الميسرة للتلفزيون أو الاذاعة الصوتية.

ب - برامج تعليم الكبار: وهي البرامج التي توجه الى الرجال والنساء والشباب خارج اطار التعليم النظامي بهدف تزويدهم بطريقة منهجية

بالمعارف المتصلة بموضوع معين أو لاتقان أية مهارة عملية أو فنية أو علمية، أو للتمسك باتجاه أو سلوك معين، وذلك بدءاً من عملية القراءة والكتابة، الى اعقد امور التخصص الجامعي ومابعد الجامعي، ويسميه البعض بالتعليم المستمر

جـ - **برامج التعليم المفتوح**: وهي البرامج التلفزيونية والاذاعية التي تتعاون مع غيرها من الوسائل التقنية كالتسجيلات الصوتية والمرئية والمواد المطبوعة، في تقديم مناهج تعليمية كاملة لدارسين محددين من كبار السن أو من هم في سن الدراسة ولا تمكنهم ظروفهم المختلفة من الالتحاق بالتعليم النظامي، ولا يجمعهم مكان واحد، ويلتقون مع موجهيهم اذا دعى الأمر على فترات محددة، ويزودون بشهادة تخرج وفقا للشروط التي تحدد من قبل في النظام المنشىء لهذا النوع من التعليم.

ونقطة انطلاق البرامج التلفزيونية التعليمية بأنواعها المختلفة هي ان التلفزيون يعتبر من اكثر وسائل الاتصال قدرة على المعاونة في العملية التعليمية لأسباب كثيرة لعل من اهمها:

- انه وسيلة اتصال جماهيري موجهة الى اعداد كبيرة من الناس وليس لفئة قليلة مختارة وانها بطبيعتها تسمح باعادة انتاجها والحصول على نسخ متماثلة وبطريقة غير محدودة (خصوصا بعد انتشار اجهزة الفيديو).

- انه ينقل الصوت، وهو من الخصائص التي تشترك معه فيها كل من السينما والاذاعة والتسجيلات الصوتية ، وللصوت اهمية خاصة في التعليم الذي يعتمد اعتمادا كبيرا على الكتب المدرسية وغيرها من المواد المطبوعة التي غالبا ما تفتقر الى اثارة الاهتمام والى التأثير العاطفي اللذين يجعلهما الصوت امرا ممكنا.

ـ وهو وسيلة بصرية ولذلك فانه الوسيلة المناسبة لعمليات الايضاح البصرية بما تتضمنه من عرض الأشياء والعمليات المختلفة والعلاقة بين بعضها البعض.

ـ والحركة خاصية رابعة من خصائص التلفزيون، والحركة نفسها تثير الاهتمام، وحين تخضع الحركة لخطة منطقية لها هدف محدد تزداد الرغبة في التعلم ويزداد الاقبال عليه

ـ وأخيرا فان التلفزيون وسيلة جامعة بمعنى انه يمكن عن طريقه عرض جميع المواد السمعية البصرية الأخرى.

واذا كانت هذه الخصائص الذاتية للوسيلة تجعلها اداة هامة من ادوات التعليم الا ان طريقة استخدام هذه الاداة ايضا من شأنها ان ترفع من قيمتها التعليمية:

ـ فمن الممكن استخدامها في مخاطبة الدارسين مباشرة، والتعليم المباشر كما هو معروف هو اكثر الوسائل فعالية في ترغيب الدارسين وحثهم على الاقبال على التعليم.

ـ ان للتلفزيون القدرة على عرض الشخصية التي تظهر في الكاميرا في صورة تبدو اكثر من الحياة والواقع ومن ثم اكثر قدرة على التأثير

ـ قدرة التلفزيون على تكبير اصغر الأشياء تعتبر من اكبر المزايا التعليمية.

ـ وبالمثل فان بالامكان تكبير الصوت في التلفزيون.

وهذه الخصائص والميزات تفيد في كل الأنشطة التعليمية التي يقوم بها التلفزيون، ما يتعلق منها بالتعليم المدرسي أو تعليم الكبار، وقد درج العرف على استخدام مصطلح "تعليم الكبار" امتدادا من النظرة القديمة الضيقة للتربية والتي كانت ترى ان من اهم وظائفها ـ ان لم تكن وظيفتها الوحيدة ـ امداد الفرد بالمعلومات التي تنفعه في مستقبله والتي تشكل ثقافة

المجتمع وتراثه الفكري، اما اليوم فقد تغير هذا المفهوم للتربية كلية فأصبح لا يقتصر على امداد الفرد بالمعلومات اللازمة وانما يرى ان هذه المعلومات لا تشكل الا جزءا من العملية التربوية وانها تتسع لتشمل كذلك امداد الفرد بالمهارات الضرورية التي يحتاج اليها في حياته العملية ولتشمل كذلك تزويده بالاتجاهات الصالحة التي يعتقد المجتمع ضرورة ايمان افراده بها، ولذلك فقد كان اولى بنا استخدام مصطلح "تربية الكبار" بدلا من "تعليم الكبار" لولا الخشية من الخروج على المألوف، واكتفاء بالتنبيه الى أن مانعنيه بهذا المصطلح هو التربية وليس التعليم.

وهناك تصور لمفهوم تعليم الكبار يقصره على محو الأمية، ولاشك أن هذا التصور ضيق وقاصر، وهو اكثر قصورا على اعتبار محو الأمية عبارة عن امداد الفرد بالمهارات الأساسية كالقراءة والكتابة، ذلك لأن محو الأمية في ذاته لا قيمة له مالم يعتبر جزءاً من برنامج كلي متكامل لتعليم الكبار يهدف الى تنمية حياة الفرد والمجتمع من جميع النواحي

إن تعليم الكبار ـ في التصور الذي يتبناه هذا البحث ـ له طبيعة خاصة تميزه عن التعليم النظامي اي التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات، واهم ما يميزه انه يعتني بتعليم الشباب والكبار من الرجال والنساء الذين لا تتاح لهم اوقات محددة للدراسة والذين يحملون على اكتافهم مسئوليات عمل يرتزقون منه ويتحملون مسئوليات عائلية ويعانون في بعض الأحيان من مشكلات مالية، كما يعنى تعليم الكبار كذلك بأنشطة الشباب خارج حدود المدارس، وبالاضافة الى هذا فإن تعليم الكبار ينبغي ان يهتم كذلك في بلادنا العربية ـ وبصفة مؤقتة وضرورية ـ بتقديم التسهيلات التربوية للأطفال الذين لا يجدون الفرص للحصول على التعليم الالزامي.

ويتصل "بتعليم الكبار" ذلك النوع الآخر من التعليم الذي يسميه البعض التعليم المفتوح أو "التعليم عن بعد" على أنه من المتفق عليه ان هذا النوع من التعليم يتميز بالخصائص التالية:

- انه نظام مكمل لنظام التعليم المدرسي، فالتعليم المفتوح لا ينازع في الدور القيم الذي تقوم به المدارس والجامعات في المجتمع، ولكنه يحاول ان يواجه الاحتياجات التعليمية التي لم يواجهها النظام المدرسي ويعمل هو على تلبيتها، على الأخص بالنسبة لهؤلاء الذين تحول الظروف المختلفة بينهم وبين الانضمام الى التعليم المدرسي.

- يعتمد التعليم المفتوح على وسائل الاعلام المختلفة وعلى الأخص الراديو والتلفزيون بالاضافة الى المطبوعات عن طريق المراسلة و من اجل هذا سماه البعض "بالتعليم عن بعد" بالنظر الى امكانية الحصول عليه من جانب الدارسين البعيدين عن مراكز المرافق التعليمية

- وأخيرا. فإن التعليم المفتوح يتميز بالمرونة من حيث مناهجه والشروط التعليمية، والفترات الزمنية المحددة للمناهج ومن حيث معايير النجاح، وهذه المرونة لازمة واساسية اذا ما اراد التعليم المفتوح ان يستجيب للاحتياجات التعليمية والمهنية المتغيرة دائما.

٣ - برامج التنمية:

وهي البرامج التي تهدف الى تنمية المجتمعات الخاصة التي تتميز بالتقاء اهتمامات أفرادها، أو اشتراكهم في ظروف بيئية أو اجتماعية أو ثقافية معينة، وتلتقي هذه البرامج مع برامج تعليم الكبار في انها تركز على المعلومات والمهارات أو انواع السلوك التي من شأنها ان تفيد المتلقي وتساعده على تطوير حياته ولكنهما تختلفان في الالتزام بالمنهجية، فبينما

برامج تعليم الكبار تخطط بطريقة منهجية تقدم فيها الموضوعات وفق نظام خاص يعتمد على التسلسل والتراكم، نجد برامج التنمية متحررة من هذه المنهجية وتخطط بحيث يمكن ان يستفيد المتلقي من اي برنامج منها بصرف النظر عن درجة متابعته لبرامج سابقة.

وتحاول هذه البرامج عادة معالجة مشاكل التخلف في مجالات الصحة وتربية الطفل وفي مواجهة مشاكل التحضر، ونعني بها مشاكل التكدس والاتساع غير المخطط للمدن العربية، وكذلك التخلف في مجالات الزراعة والرعي وتربية الحيوان والصيد، كما تحاول دائما الوصول الى المجتمعات النائية أو المحرومة من الخدمات التعليمية والثقافية والاعلامية المناسبة.

ولابد من الاشارة هنا الى ان التنمية لا تعني التنمية الاقتصادية فحسب، فهي بمعناها الشامل تضم جوانب اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية بحيث تتفاعل جميعها مع بعضها في ذلك الاطار، فالتنمية عملية حضارية شاملة لمختلف اوجه النشاط في المجتمع بما يحقق رفاهية الانسان وكرامته، والتنمية ايضا بناء للانسان وتحرير له وتطوير لكفاءته واطلاق لقدراته للعمل والبناء.

والتنمية هدف مستمر وقدرة على التغيير والنمو والتطور، وهي مسألة نسبية ودائمة التغير ولذا فإن اهداف التنمية وفقا لما يحتاج اليه المجتمع في مرحلة معينة ووفق ماهو ممكن التحقيق، والاحتياج وامكانية التحقيق يتغيران تبعا للظروف.

وجدير بالذكر هنا ان البرامج التلفزيونية للتنمية شأنها شأن برامج تعليم الكبار تعتمد اعتمادا اساسيا على مشاركة الشباب، ذلك ان من بين شروط النجاح خطط التنمية الشاملة، ومن بينها التعليم خارج المدرسة، والمشاركة النشطة من جانب افراد المجتمع المستهدف من هذه الخطط،

وبغير هذه المشاركة تصبح خطط التنمية مجرد عمليات بيروقراطية مكتبية لايمكن ان تحقق اهدافها، والمقولة المشهورة هنا هي ان الانسان هو هدف التنمية كما انه وسيلتها، والمشاركة الشعبية بطبيعتها تحتاج الى القيادة الطوعية والى القدوة، وليس غير الشباب يستطيع تولي هذه القيادة وتقديم القدوة.

إن عمليات تغيير السلوك الاجتماعي والمواقف والاتجاهات الاجتماعية، وتعلم القراءة والكتابة والتدريب المهني على سبيل المثال لا يمكن ان تحقق اية نتيجة ايجابية من مجرد اذاعة برامج تلفزيونية تقدم المعلومة والتوجيه المناسب، بل لابد من تدعيمها بعمل ميداني شعبي يقوم على التطوع ويستفيد مما تلقاه الناس من برامج التلفزيون.

الاستخدام التلفزيوني والتربوي للقمر العربي:

كانت المنظمات والاتحادات العربية المعنية باستخدام الشبكة الفضائية العربية والعاملة في اطار جامعة الدول العربية قد اتفقت فيما بينها خلال مشاركتها في "ندوة استخدام اقمار الاتصالات في الخدمات الاذاعية والتلفزيونية" التي عقدت في الرياض في الفترة من ٧ - ١٠ ديسمبر ١٩٨١م، على اعادة تشكيل "اللجنة العربية المشتركة لاستخدام الشبكة الفضائية العربية في اغراض الاعلام والتنمية"

وقد تأكد أن الجهد الذي تبذله هذه المنظمات والاتحادات لا يمكن ان يحقق ثماره على النحو المأمول الا اذا نسقت انشطتها وبلورتها في اطار خطة شاملة ومتكاملة، وعهد الى اتحاد اذاعات الدول العربية بالقيام بأعمال الأمانة العامة لهذه اللجنة

ويشترك في عضوية هذه اللجنة بالاضافة الى اتحاد الاذاعات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمؤسسة العربية للاتصالات الفضائية والاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية وجهاز تليفزيون الخليج، ومؤسسة الانتاج المشترك لدول الخليج ومكتب التربية العربي لدول الخليج، واتحاد الصحفيين العرب، واتحاد وكالات الأنباء العربية وادارة الاعلام بجامعة الدول العربية كما اشتركت منظمة اليونسكو والاتحاد الدولي للمواصلات بصفة مراقب.

وعقدت اللجنة اجتماعها الأول في الرياض بدعوة من وزارة الاعلام في المملكة العربية السعودية في أواخر فبراير وأوائل مارس عام ١٩٨٣م، واقرت عددا من المبادىء والمشروعات التي عهدت بتنفيذها الى المنظمات والاتحادات الأعضاء، على ان تتولى اللجنة عمليات المتابعة والتقويم من خلال امانتها العامة أو من خلال اجتماعاتها الدورية

ينصب جانب من هذه المشروعات على الدراسات والبحوث التمهيدية والمطبوعات التعريفية ويتناول جانب منها التدريب ورفع مستوى المهارة الفنية للعاملين كما يتناول وضع نظم وترتيبات التبادل الاخباري التليفزيوني وينصب جانب اخر على وضع الترتيبات الادارية الاجرائية والمالية المتصلة باستخدام القمر العربي، ويتناول الشق الهام من هذه المشروعات عمليات الاعداد والانتاج لنوعيات البرامج التلفزيونية المختلفة في مجالات التثقيف والتربية والتنمية وهو الجانب الذي يعنينا في هذا البحث.

وفي ضوء المبادىء التي رأتها اللجنة والمشروعات التي اقرتها، وضعت المنظمات المعنية بالاستخدام التليفزيوني والتربوي للقمر العربي خططها لعام ١٩٨٤م، وبعضها وضع كذلك خطط عام ١٩٨٥م، ويتعاون في تنفيذ هذه الخطط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مع اتحاد اذاعات

الدول العربية ومؤسسة الانتاج المشترك لدول الخليج ، كما يتعاون جهاز تليفزيون الخليج مع مكتب التربية العربي لدول الخليج ومؤسسة الانتاج.

وتهدف هذه المشروعات الى انتاج عدد من البرامج التليفزيونية الثقافية بهدف دعم العناصر المشتركة في الثقافة العربية سواء منها القديم أو المعاصر، ويدخل في هذا التعريف بالتراث العربي والاسلامي، والتعريف بالمدن العربية الكبرى، والشخصيات العربية الرائدة في جوانب الحياة المختلفة سواء في الماضي أو في الحاضر وتقديم الفن العربي المعاصر

وفي اطار البرامج الثقافية وتأكيداً لأهمية تزويد الشباب بالقدر الملائم من مبادىء العلم والتكنولوجيا بما ييسر لهم فهم الواقع حولهم ويعاون في خلق تيار عام مساند للسياسات العلمية فقد تقرر انتاج خمسين حلقة من برنامج تليفزيوني باسم «العلم للناشئة» تتولى تنفيذه مؤسسة الانتاج التليفزيوني المشترك لدول الخليج العربية وبدعم من الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي وبعض مصادر التمويل العربية الأخرى.

وتدور هذه البرامج حول مجموعة من المحاور هي:

- تبسيط العلوم المتصلة بالحياة.
- التعريف بالتراث العربي والاسلامي في مجال العلوم
- تقديم التطورات التكنولوجية
- الثقافة البيئية بما يفيد في الحفاظ على البيئة الطبيعية والعربية
- بناء العقلية العلمية وتأكيد الأسلوب العلمي في السلوك واتخاذ القرار

وفي مجال برامج التربية سيخطط الانتاج برامج تليفزيونية تعليمية موجهة الى الطلاب في الوطن العربي تتناول القضايا الأساسية من مناهج المواد المختلفة ويتم تنفيذها من خلال ادارات التليفزيون التربوي في

الأقطار المؤهلة لمثل هذا الانتاج، وهذه البرامج مما يطلق عليه برامج «الاثراء» حيث توجه الى الطلبة خارج الفصول ويمكن أن تفيد المشاهد العادي إذ أن ارتباطها بالمنهاج ارتباط غير مباشر

وسيقوم الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالاتفاق مع مؤسسة الانتاج المشترك لدول الخليج بانتاج عدد من حلقات محو الأمية، ويلاحظ هنا ما سبق أن ذكرناه من أن هذه البرامج لن تكفي بذاتها كمنهج متكامل لمحو الأمية، بل ينبغي أن يصاحبها جهد محلي لاستثمار النتائج المتوخاة من هذه الحلقات، وهي حث الأمي على التعلم ووضعه على بداية الطريق وتزويده بالمعلومات الأساسية التي يحتاجها، ويرتبط بهذا أيضاً مجموعة البرامج التي يجري اعدادها للاذاعة مع الشبكة الفضائية أيضاً وتهدف الى المعاونة في تدريب المعلمين الميدانيين الذين تحتاجهم حملات محو الأمية .. ومعظهم من الشباب حملة الشهادات المتوسطة وغير المؤهلين تربوياً

أما في مجال التعليم المفتوح وما يتصل به من فكرة انشاء جامعة عربية مفتوحة فقد استقر الرأي على ضرورة اجراء مزيد من الدراسات في الفترة القادمة والدخول في تجارب محدودة للنظر بعد ذلك في امكانية وضع نظام شامل لها يأخذ في اعتباره استغلال امكانيات القمر العربي.

أما بالنسبة لبرامج التنمية التي تستغل امكانات القمر العربي فقد تبنى هذا الموضوع جهاز تليفزيون الخليج بدءا من عام ١٩٧٩م حيث طرح فكرة اعداد قناة تلفزيونية خاصة تقدم برنامجا خليجيا مشتركا يذاع في وقت واحد من جميع الدول الأعضاء بالجهاز، ويركز على الجانب التعليمي غير المدرسي وجانب التنمية، يتم بثه عبر القمر الصناعي العربي وقد عاونت بعثة من اليونسكو في بلورة الفكرة وتطويرها.

ووافق وزراء اعلام دول الخليج على الفكرة من حيث المبدأ وعهدوا الى الجهاز باتخاذ الاجراءات والدراسات اللازمة لوضعها موضع التنفيذ.

وفي سبيل تنفيذ هذه الفكرة عقد الجهاز اجتماعا للخبراء اطلق عليه «الاجتماع التحضيري لانتاج برنامج تلفزيوني لخدمة اهداف التنمية والتعليم بمنطقة الخليج باستخدام القمر الصناعي العربي

وقد حدد الخبراء في تقريرهم النهائي الأهداف العامة للبرنامج ومن بينها:

- تعويض أولئك الذين لم يحالفهم الحظ في الانخراط في سلك التعليم المدرسي ، بالمعارف والخبرات النافعة، واكساب المشاهدين وخاصة النساء بعض مهارات شئون الاسرة التي من شأنها تحقيق حياة اسرية افضل.
- المساهمة في جهود محو الأمية في منطقة الخليج
- العمل على تنمية وتحسين مستوى اداء اصحاب الحرف المهنية واليدوية.

واشترك مكتب التربية العربي لدول الخليج في تحديد نوعيات البرامج التنموية التي يقترح ان تكون لها الأولوية في هذا البرنامج الخليجي المشترك والذي تقرر اعتباره نواة لتجربة عربية شاملة تتبع نفس الأسلوب في مرحلة تالية.

نظرة الى المستقبل:

لعل الانطباع الأول الذي نخرج به من هذا العرض ان الطموح اكبر كثيرا من حجم المشروعات التي تم التخطيط لتنفيذها، وان التحدي الحضاري الذي يواجه المنطقة العربية كلها بالدخول في عصر الفضاء يقتضي مزيدا من العناية

فالاعتمادات المالية التي خصصتها المنظمات والاتحادات المعنية بالاستخدام التليفزيوني والتربوي للقمر العربي لا تكاد تصل الى ١٪ مما يصرف على بناء القمر واطلاقه في مداره والتحكم في مساره وتشغيله، واذا كان هناك اطار تنظيمي يشرف على الجانب التقني في هذه العملية هو "المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية" في الرياض، فليس هناك اطار تنظيمي مقابل مسئول عن عمليات الانتاج للافادة التلفزيونية والتربوية من امكانات القمر على المستوى العربي، والمنظمات والاتحادات التي تشارك في هذا العمل بما وسعها من جهد ليست جهات انتاج وليس لديها الخبرة أو المال أو الأطر التنظيمية اللازمة لهذا العمل.

واذا كنا نتحدث عن قضية الشباب في علاقتها ببرامج القمر العربي فينبغي الا ننسى ان قضية الشباب هي ـ بحق ـ جزء لا يتجزأ من قضية المجتمع كله، واي علاج لقضية واحدة بعينها من قضايا هذا المجتمع دون النظر الى سائر القضايا فيه اغفال للنسق الكلي للمجتمع، وهو القضية الأساسية التي ينبغي ان تكون محور الدرس والتأمل.

ولكن هذا لا يعني ان هناك مشاكل معينة ترتبط بمرحلة ينبغي ان نتصدى لها في الاطار الاجتماعي الشامل، ولنتذكر ان الشباب هو القنطرة التي يعبرها الناشيء تاركا خلفه طفولته، ومستقبلا امامه رشده.

والشباب على هذه القنطرة يتأرجح ويتردد، وينكمش ويندفع،ويهدأ ويثور،ويخاف ويتشجع،ويصل آخر الأمر الى الطرف الآخر، ونحن نريده أن يصل صالحا فتيا، متينا قويا، قادرا على تحمل مسئوليته، وعلى الاستمتاع بتحقيق ذاته تحقيقا يتوافر فيه رضاؤه عن نفسه، ورضاء المجتمع عنه.